"سماسرة الاحذية" في الخليل يستثمرون تعب الفي عامل

ثمن العرق وتعب الليالي يتحول الى عمارات ، وسيارات ، و "فيلل قرميدية"!!

تقرير / فجر الهادي

.. "الخليل" مدينتان .. !

واحدة تتناثر على الاطراف ، عمارات انيقة ، بحدائق يجهل العمال اسماء ازهارها . واخرى حوارى قديمة ، تحتضنها تلال المدينة بضجيج الصوق ودخان السيارات . امام بيوت الاول تتمدد ، بكسل، سيارات فارهة .. ويسكن الثانية عمال ، وحرفيون صغار . يرهقهم التعب وهمومهم . ولان "الخليل" ظلت تخفي وجع التمايز بين سكانها بسلطة العائلة - "العائلوقراطية" - ظل الفقراء مخنوق الصوت.. وفي احسن الاحوال "صوت بلا صدى" ..

عن وجه المدينة الاصيل ، ومتاعب عمال صناعة الاحذية ، المهنة الاشهر في مدينة الخليل ، عن الجوع والتعب واماني الشباب العمال ، عن "سماسرة الاحذية" - كما يسميهم العمال - وحياراتهم ومشاريعهم، يقدم هذا التقرير شيئا عن حياة ٢٠٠٠ عامل معظمهم من الشباب. وما يحتاج الى تغيير ، هو ان هذا التقرير لن يتعرض للاسماء لاسباب يعرفها القراء. فالعمال هم : علي ، احمد ، حسن ، محمد، والسماسرة ، يستطيع القارىء تسميتهم كما يشاء .. !!

بداية الكلام ..

كانت البداية ، عندما تكلم "ابراهيم" ، طالب قدم الى الخليل كي يدرس في جامعتها ، ولفقر الحال استغل ابراهيم تعليق الدراسة للتواصل في الجامعة، وكذلك عدد من زملائه لتغطية المصاريف الجامعية ، للعمل في احد مصانع الاحذية ، هناك ، غاص ابراهيم في اعماق التعب بالعمل المرهق اكثر من ١٢ ساعة ، في ساعات الليل ، مقابل اجر تحدد قيمته "شطارة" العامل في الاتفاق مع صاحب العمل ، - يقول ابراهيم - وشطارة العامل لا يمكن ان تفلح باجر يتعدى ال (٢٠ شيكل جديد) . وفي المصانع يعمل اطفال دون العاشرة ، وهم ملزمون ، كالبقية ،بمتابعة حركة الماكنات السريعة . والاطفال يعملون باجر اقل قيمته ، في احسن الاحوال ، ما يعادل طعام يومهم .. ويحدث ، احيانا ، عندما تخور سواعد الطفل الغضة وتفقد قدرتها ان يتم الاعتداء عليه بالضرب .

(حصل ذلك مع الطفل عبد الحميد ، قبل شهر تقريبا ، في احد مصانع الاحذية ، عندما نضبت فيه القدرة على متابعة حركة الماكنة .. وعندما طارده النعاس اثناء العمل في ساعات الليل / المحرر). وابراهيم . كان يروي الحادثة وفي عينيه التماعة دمعة ، حبسها انتباه المستمعين الطيبة "حياة عبد الحميد" المهانة !! من حكاية "ابراهيم" عن "عبد الحميد" كانت بداية مقابلة العمال .. والعمال يصوغون مفرداتهم بلغة خاصة ، سريعة كحركة الماكنات . عمال في مقتبل العمر ، واحد يحلم بالزواج فيجد اجره لا يكفي مصاريفه ، واخر يبرمج مصاريفه الزفافية متواضعة بسهرة مع الاصدقاء . وعندما يتحدثون يجيبون على كل الاسئلة التي قد يعدها السائل دون طرحها . وللمة اطراف الحديث وترتيبه وفق الصياغات الصحفية التقليدية امر صعب .. وبعد جهد ، كان بالاستطاعة تحديد البداية ...!!

.. لكن البداية على مقهى السعادين

.. ويعرف العمال اسماء المصانع التي يتعاقد السماسرة مع مسؤوليها من اجل الصناعة التجميعية للاحذية . ومعظم هذه المصانع في "تل ابيب" و "يافا".. و "حيفا" ، يوضح الجدول التالي توزيع جيش السماسرة على مصانع الاحذية المختلفة . حسب اقوال العمال .

اسم المصنع	عدد السماسرة العاملون لصالحه
"جالي"	١٥
"تراكلين"	٧
"جيمس"	٤
"رالي"	٥
"رافي"	٦
"ايطاليا"	١٠
"ميجا"	٣

واضافة الى هذه المصانع ، هناك مصانع اخرى ، اختلف العمال في تسميتها ، واختلفوا ايضا في تقدير عدد السماسرة الذين يعملون لصالحها

ويلتقي السماسرة في المقهى ، بعد كل رحلة من اجل تعاقد جديد. والسماسرة نوعان : حديثو المهنة، واصحاب تجربة وباع طويل في مجال مهنتهم .. ويشير العمال الى ان "اتفاقات مقهى السعادين" لا تضبط السماسرة الكبار في ابتلاع السماسرة الصغار .. وعلى طريق المضاربة ، يتناقص باستمرار ، عدد السماسرة ، لتتمركز السمسرة في ايدى من يجيدونها !!

تعب العمال للسماسرة .. و "براعة السماسرة" لخدمة المصنع !!

وفي الوقت الذى يبدو فيه السماسرة منتظمين "بمقهى السعادين" يتناثر العمال مجموعات صغيرة ، تضطرها ظروف الغلاء الى القبول باى عمل .. وباجور باخسة.

وقبل الحديث عن قيمة الاجور ، لا بد من تحديد ماهية العمل . وماهية العمل قادتنا ، بالتالي،الى التسميات المهنية للعمال . والفرق بين مهنة "الماكنجي" ومهنة "الكندرجي". "فالماكنجي" ، هو العامل على ماكنات الخياطة لتجميع جسم الحذاء الجلدى ، اما "الكندرجي" فمهمته الصاق وخياطة جسم الحذاء الجلدي بالنعل .

والاغلبية الساحقة من العمال ، هم من فئة "الماكنجية" يعملون في تجميع الجلد وخياطته. ويكون الجلد مفصلا ازواجا وفق مقاسات محددة.

يذكر العمال ، بان سعر تجميع الجلد وخياطته ، يتم التعاقد عليه بين السماسرة واصحاب المصانع الاسرائيلية.. وغالبا تصل قيمة الاجر (من المصنع للسمسار) خمسة شيكلات للزوج الواحد ، والسماسرة ، يعطون العمال ما قيمته شيكلين فقط ، وفي احسن الاحوال ، شيكلين ونصف .!!

عن ثمن التعب ..!!

عن ارهاق العمل اليومي ، وعن كيفية دفع الاجرة للعمال ، وعن عمليات النصب والاحتيال ، عن حقوق العمال "القانونية" ، يطول الحديث. قصص وحكايات عديدة لا مجال لحصرها . "بطلها" السمسار ، وضحيتها العامل . ولحكايات التعب من ضحاياها طعم خاص. يسرقون مسامعك ب "رواياتهم "،ومع انهم لا يقرأون الادب الكلاسيكي من نوع بؤساء "فيكتور هوجو" او ضحايا "بيرلباك" في "الارض الطيبة" ، الا انهم يحركون في السامع ، وبسهولة ، قدرته على المراخ بطريقه "ابي ذر الغفاري" :عجبت لمن يبيت على الطوى.. كيف لا يخرج على "الناس" شاهرا سيفه؟!"

يقول احمد : يستطيع العامل "البارع" ان ينجز عشرة ازواج من الاحذية في ١٢ ساعة عمل ، وبحسبه بسيطة تكون اجرة ١٢ ساعة عمل ٢٠ شيكل .. ويجد العامل نفسه مضطرا للعمل ساعات اخرى من اجل شيكل او شيكلين زيادة على قيمة الاجر. ودفع الاجرة يتم نقدا . ولاسباب ، يقول السماسرة انها "خارجة عن ارادتهم"، يتم تأخير دفعها لايام طويلة ، تصل احيانا نصف شهر . اما عمليات النصب والاحتيال فحدث ولا حرج !! وما اكثر ان يتم ذلك بذريعة ان المصنع خصم من الاجرة بسبب عدم دقة العمل !! وهذا النوع من الاحتيال يطول العمال بالجملة ، اما عمليات النصب "بالمفرق" فهناك الاف القصص ، الطريفة والمأساوية في ان واحد ، منها - على سبيل المثال - يتم "اقناع" العامل ، رغما عنه ، بأن عدد ازواج الاحذية التي انجزها اقل من الرقم الحقيقي.. او - مثال اخر - يتم "تلوعة" العامل في حجم السلف المالية التي تقاضاها على مدار الشهر .. وغيرها كثير !!

اما الاتعاب ، الاجازات ، بدل اصابات .. الخ ، فالعمال "مقتنعون" بانها مسميات "لا يحق لهم تداولها على السنتهم" ، وعلى الاصح ، فهي مفردات مغيبة عن وعيهم كليا.

السماسرة مثل "السيرسيون"!!

مع كل ما يتعرض له العمال من سحق ، الا انهم اصحاب "نكتة" ، ونكاتهم موجعة ومضحكة ، وبالغة الدلالة ، فالسمسار عندهم مثل "السيرسيون" - وهي مادة لاصقة يستخدمونها للصق الجلد بالنعل - وهي ، عدا عن هذه القيمة الاستعمالية ، يقول العمال بأن رائحتها تسبب ارتخاء ملحوظا في العضلات . ومع الزمن تسبب امراضا للعمال ، وخاصة في الجهاز التنفسي.

ويقول عمال اخرون . بان مادة "السيرسيون" اللاصقة ، عدا عن انها مضرة بالصحة ، تستدرج العامل للادمان على شمها .. ويضرب العمال العديد من الامثلة عن زملاء لهم . سبب له "السيرسيون" مصائب صحية كثيرة.

ومن ناحية اخرى ، تنعدم اساليب الوقاية من الاضرار التي يسببها .. مثلما هي معدومة امكانية مقاومة السماسرة ، في ظروف عمال مصانع الاحذية غير المنظمين.

.. وعن "امبراطورية" السماسرة !!

.. كم هي مهانة حياة العمال !!وكم هم مسروقو الراحة والامان! فأنت تستطيع ان تتلمس ، على الطرف الاخر ، الترف الذى يرفل بنعيمه السماسرة من خلال كلماتهم،والعمال لا يحتاجون شرحا عن مصادر هذا "النعيم" فهم يتحدثون عن السماسرة باسمائهم . وتدهش لحفظهم تاريخ شراء سيارة السمسار "فلان" وعيد ميلاد زوجة السمسار "علان".. وحجم "القِدَر" وعددها ، التي اقامها ، هذا السمسار او ذاك ، في وليمة لزملائه السماسرة ومريديه.. ولاصحاب المصانع الاسرائيلية. وتسمع :

السمسار "فلان" : يملك اكثر من سيارة "مرسيدس" .. ويحضر لشراء سيارة جديدة !!

السمسار (...) : شريك كبير في العديد من المحلات التجارية . وسيارته يجب ان لا تقل عن "اوبل سكونا".!!

السمسار (...) : يبني "فيلا" ضخمة وجميلة سقفها من القرميد .. و .. و

السمسار (...) : يستثمر امواله في بنوك اجنبية .. ويحضر لبناء عمارة تحوى محلات تجارية ومكاتب.

والامثلة كثيرة .. والاسماء ايضا كثيرة !!

وفي صحة "الامبراطورية" .. بدا تشغيل الفتيات باكثر مهانة !!

من اجل جمع المزيد من الارباح لم يكتف السماسرة بسرقة جهد اكثر من الفي عامل . ففي المدة الاخيرة بدأوا يفكرون بتشغيل اعداد اضافية من الفتيات في مشاغل خاصة - يقول العمال - ان تشغيل الفتيات في صناعة الاحذية يعطي فرصة اوسع للسماسرة من اجل زيادة ارباحهم ، مستغلين بذلك فرص عمل الفتيات الضيقة ، ومضيفين الى جيش العمال المضطهد اعدادا جديدة من الفتيات باجر شهرى لا يتعدى (٣٠ دينار) وفي ظروف عمل تنعدم فيها الوقاية ، حتى المعاملة الانسانية تبقى معلقة "برحمة" السمسار.

يشير العمال بان في مدينة الخليل ثلاثة مشاغل احذيةتعتمد بالاساس على عمل الفتيات ، ويضيفون بان العديد من السماسرة بدأوا يفكرون بفتح مشاغل احذية لتشغيل الفتيات لما يوفره ذلك من اموال طائلة في جيب السمسار !!

وضرب العمال مثلا عن حجم استغلالهم الذى بدأت تشاركهم فيه الفتيات . بان سمسار مصنع "ميجا" في حيفا ، يشغل عددا من العمال ينجزون ١٤٠ الف زوج من الاحذية شهريا . وبحسبة بسيطة يكون صافي ارباح السمسار شهريا ، ما مقداره ٤٢٠ الف شيكل "فقط"!

اين النقابة ؟!

جميع العمال الذين سألناهم والتقينا بهم اشاروا بان محاولات تحسين شروط العمل معظمها يتم بشكل فردى . ولم يستطع العمال ذكر محاولة ناجحة من هذه المحاولات ، وعلى سؤالنا اشاروا بان "نقابة عمال الاحذية" تقتصر خدماتها للعمال على حفلة ترفيه ، تامين صحي من خلال اطباء متبرعين (اشار بعض العمال بان "التأمين الصحي" صورى في اغلب الاحيان) وفي النقابة - اشار بعض العمال بتندر - يلتقي العمال للتسلية

وما يلفت الانتباه ، وما تأكدنا من صحته ايضا ، هو ان بعض اعضاء الهيئة الادارية للنقابة هم من السماسرة ؟!!

... والحـل ؟!

في ظروف البطالة ، وانعدام الفرص تكاد فرص تحسين شروط العمل تكون مستحيلة !! بمثل هذا يتحدث معظم العمال الذين التقينا بهم . وفكرة تشكيل لجان عمالية ، لم تأخذ طريقها للعمال بعد ، ولكن عددا منهم رأى فيها البديل المعقول . ومن خلال الحديث مع العمال ، تبين ان الكثير من العمال يبحثون عن حلول عن طريق "الفهلوة"!! وجميع اصحاب هذه الطريقة وقعوا ضحايا للسماسرة.

"لجنة عمالية من بيننا ، تمثلنا وامينة على مصالحنا . ستكون احسن الف مرة من اى جسم اخر . يرى مهمته ادارة استغلالنا بشكل انسب"،

كانت تلك الجملة الاخيرة على لسان احد العمال.